# التماثل التأويلي بين النصّ الأصل و النصّ الهدف في ضوء نظرية الملاءمة

*The interpretive resemblance between the source text and the target text On view of the Relevance Theory*

قويدر يوسف، معهد الترجمة، جامعة وهران 1 أحمد بن بلّة، الجزائر.

تاريخ الإرسال: 2018/05/30 تاريخ القبول: 2018/11/13 تاريخ النّشر: 2018/12/10

## ملخّـــص

**تهدف هذه الدّراسة إلي البحث في العملية التأويلية التي تعدّ الأساس الذي تقوم عليه الترجمة من خلال الاعتماد على نظرية الملاءمة و ذلك باستثمار مفهوم التماثل التأويلي حيث سنسعى إلي إيضاح الطريقة التي يتم من خلالها تحقيق التماثل التأويلي بين النصّ الأصل و النصّ المترجم. يتحقق التماثل التأويلي بين قولتين أو نصّتين في اللغة الواحدة عندما يتمكن المتلقي من التوصل بالافتراضات السيّاقية التي تحقق له الملاءمة بحيث تمكنه من فهم النصّ أو القول دون بذل جهد تحليلي كبير. سنورد في هذا البحث مجموعة من الأمثلة مع ترجمتها إلي اللغة العربية للوقوف على الطريقة التي يتم من خلالها تحقيق التماثل التأويلي، و مدى إسهامه في مدّ القارئ الهدف بنصّ مترجم يحقق له الملاءمة بحيث يمكنه من الفهم دون بذل جهد كبير في عملية التحليل والمعالجة.**

**الكلمات المفتاحية:** نظرية الملاءمة، التمـــــــاثل التأويلي، الآثار السيّاقية، جهود المعالجة، الملاءمة المثلى.

## Abstract

This study aims at understanding the importance of achieving interpretive resemblance between the source text and the target text during the process of translation. In fact, the concept of interpretive resemblance has its root in Relevance Theory which is developed by Dan Sperber and Deirdre Wilson (1986), and then introduced to the field of translation by Ernst Gutt (1991). According to Relevance Theory, to achieve a successful translation, the translator should produce a target text that its interpretation resembles the interpretation of the source text in those assumptions that make it relevant to the target reader. These assumptions should be conveyed without requiring the target reader to make unnecessary processing efforts.

***Key words:*** relevance theory, context, contextual effect, optimal relevance, processing efforts, interpretive use of language.

**مقدمـــــة:**

لقد أسهم ظهور علم اللّسانيات في إرساء الأطر العلمية لدراسة الترجمة والبحث فيها.فقد اعتمدت اللّسانيات في بداياتها على الترجمة في مجال تعلم اللّغات وفقا للمنهج التحليلي التقابلي، و هو المنهج الذي يرصد أوجه التشابه و الاختلاف بين لغتين لا تنتميان إلى العائلة اللّغوية نفسها حيث يتم عقد مقارنات بين اللّغتين موضوع الدّراسة من خلال المستويات النحوية و الصرفية و الصوتية مع الأخذ في الحسبان الجملة وحدة للبحث والتحليل. ومع مرور الوقت تطور البحث في مجال اللّسانيات حيث تجاوز موضوع البحث الجملة إلى التركيز على النصّ. وهكذا تشعبت المدارس اللّسانية التي ركزت على دراسة النصّ من زوايا مختلفة؛ السوسيولسانيات مثلا يعنى فيها الدّرس اللّساني بالبحث في العلاقة بين اللّغة و مستعمليها من جهة، وبين اللّغة والبيئة الاجتماعية من جهة أخرى. كما ظهرت أيضا فروع أخرى من اللّسانيات مثل اللّسانيات الإدراكية واللّسانيات النفسية وغيرها.

تعد اللّسانيات التداولية من الفروع الحديثة في مجال اللّسانيات التي تهتم بدراسة اللّغة بوصفها أداة في العملية التواصلية و ذلك بربطها بعنصر السيّاق حيث لا يمكن إدراك المعنى الذي ينطوي عليه القول أو النصّ دون تأويله في حدود سيّاق محدد. لقد اهتم الباحثون في مجال الدّراسات الترجمية بتحليل العملية الترجمية بالاعتماد على أهم المفاهيم و المقاربات التي تقترحها الفروع المختلفة للّسانيات من ضمنها ما أتت به اللّسانيات التداولية التي يتم في نطاقها دراسة الترجمة بوصفها عملية تواصلية تتمثل أطرافها في كاتب النصّ الأصل و المترجم و القارئ الهدف. تشكل نتائج العملية التأويلية التي يقوم بها المترجم حجر الزاوية في العملية الترجمية ككلّ، و عليه فإن نجاح المترجم متوقف على مدى نجاحه في التوصل بالتأويل المقصود من قبل صاحب النصّ الأصل. سنسعى من خلال هذه الدّراسة البحث في إمكانية استثمار مفهوم التماثل التأويلي في مجال الترجمة على اعتبار أن هذا المفهوم قد تمّ طرحه في مجال تأويل الأقوال أو النصّوص في حدود اللّغة الواحدة، فهل من الممكن الاعتماد عليه في مجال التواصل بين لغتين مختلفتين تماما مثل الانجليزية والعربية؟

أمّا فيما يتعلق بالطريقة المنتهجة، فإننا سنتعرض لأهمّ المفاهيم التي أتت بها نظرية الملاءمة مع التركيز على مفهوم التماثل التأويلي في مجال الترجمة و ذلك بإدراج مجموعة من الأمثلة من اللّغة الانجليزية مع ترجمتها إلى اللّغة العربية. سيتم التركيز على العملية التأويلية بوصفها الأساس الذي تقوم عليه العملية الترجمية حيث لا بد أن يتحقق التماثل بين النصّ الأصل و النصّ الهدف على المستوى التأويلي و ذلك بالاعتماد

على السيّاق.

**1. نظرية الملاءمة:**

تعدّ نظرية الملاءمة نظرية تداولية معرفية، أرسى قواعدها كل من اللسانية البريطانيةDeirdre Wilson « ديردير ويلسون» و الفرنسي Dan Sperber «دان سبيربير». تبحث هذه النظرية في الظواهر البنيوية للملفوظات بالتركيز على عنصر السيّاق، كما أنها تعتبر في الوقت نفسه نظرية معرفية إدراكية ذلك أن المفاهيم الجوهرية التي تؤسس لها مستمدة من علم النفس المعرفي. تهتم نظرية الملاءمة بالبحث في الطريقة التي تتم من خلالها العملية التواصلية و الكيفية التي تكتسي بها العلامات اللّسانية معانيها ضن سيّاق معين. فعندما يصدر المرسل قولا أو نصا فإنه يقصد تمرير معلومة ما حيث تساعد الخصائص اللّسانية للقول أو الرسالة المتلقي على الاستدلال على قصد المتكلم وعلى رسم صورة دلالية في ذهنه حول ذلك القصد. يرى «ويلسن و سبيربير» أن هناك تباينا بين التمثيلات الدّلالية المكونة لجملة ما و الأفكار التي تحملها الملفوظات خلال العملية التواصلية؛ أي أن المعنى الذي ينطوي عليه ملفوظ ما ليس مماثلا للمعنى الذي تم ترميزه من خلال العلامات اللّسانية ذلك أن المكونات النحوية والمعجمية لجملة ما لا تنقل بالضرورة المعنى الكلي لهذه الجملة. يبرز عند هذا المستوى دور العوامل السيّاقية التي تضطلع بدور مهمّ في جسر الفجوة بين التمثيلات الدّلالية والأفكار المعبّر عنها في الجملة أو الملفوظ.[1]

تعتبر نظرية الملاءمـــة تفسيرا اظهاريا استدلاليا (ostensive-inferential) للطريقة التي يتواصل بها الأفراد فيما بينهم؛ فهي أنموذج استدلالي للتواصل لا يقتصر على مجرد عملية ترميز لعلامات لسانية يقوم بها المتكلم أو المرسل ليعمل من ثمّ المتلقي على فك ترميزها. يتحقق التواصل من خلال الأدلّة التي يمد بها المرسل المتلقي في إطار سعيه إلى بلوغ القصد الإخباري. يضطلع المرسل بدور إظهاري استدلالي من خلال المثيرات الاظهارية (النصّ أو الملفوظ) التي يطرحها و التي يستدل منها المتلقي على الرسالة التي يرمي المرسل إلى إيصالها:»تقوم عملية التواصل الاستدلالي على بناء وتقييم فرضيات حول مقاصد المرسل.»[2] يعدّ النصّ في حدود هذه النظرية مجموعة واسعة من الافتراضات التي يحملها المتلقي في ذهنه حول العالم و التي تضم كل ما يمكن للمتلقي أن يراه أو يشعر به أو يتذكره. يعتبر السيّاق مفهوما إدراكيا معرفيا يحيل على جزء من المحيط المعرفي الإدراكي الذي يتم الاعتماد عليه في تأويل أي نصّ. تهدف نظرية الملاءمة، التي ترتكز على مفهومي الجهد المبذول في عملية الفهم والآثار السيّاقية المحققة من جرّاء ذلك، في المقام الأول إلى تقديم إطار لوصف العملية التواصلية

والإسهام في عملية التأويل. وفيما يتعلق بتفسير الآلية التي يتحقق من خلالها الفعل التواصلي، فإن هذه النظرية تفيد بأن التواصل هو عملية ذهنية معرفية تعمل من خلالها أطراف التواصل على تحليل المعلومة ببذل أقل جهد ممكن، على أن يتحقق بالموازاة مع ذلك ربح معرفي أو بمعنى آخر تحقيق أثر تواصلي. وهذا المفهوم هو الركيزة الأساسية التي تقوم عليها نظرية الملاءمة، و هو ما يطلق عليه «سبيربير و ويلسون» «مبدأ الملاءمة أو المناسبة»

## 2. مفاهيم في نظرية الملاءمة:

### 2.1 الجهد المعرفي Cognitive efforts والآثار السيّاقية Contextual effects:

أما الجهد المعرفي فنعبّر من خلاله على الجهد المبذول في تحليل الفعل التواصلي، في حين يحيل مفهوم الآثار السيّاقية على النتائج المترتبة على عملية التأويل التي يخضع لها الفعل التواصلي.

يرتبط الجهد المعرفي بعوامل مختلفة مثل طول الملفوظ أو النصّ و الوصول إلى المعلومات الموسوعية وعدد القواعد المنطقية التي تنطوي عليها الآلية الاستدلالية. أما الآثار المعرفية أو السيّاقية فهي ثلاثة أنواع:إضافة فرضية من خلال تضمين سيّاقي، وتغيير القوة التي يتم من خلالها الاحتفاظ بالفرضية، وإلغاء فرضية ما في حالة إثارتها للتناقض.[3]

وعليه يكون الملفوظ ملائما من خلال إضافة المعلومات، وزيادة من قوة الافتراض التي تؤدي إلى الاحتفاظ بالمعلومة أو استبعادها.

يمكن الاستشهاد بالمثال التالي لـ «جاك موشلير وأنطوان أوشلان» Jacques Moeschler et Antoine Auchlin: (ترجمتنا)[4]

1) Pierre : Où est Max?

بيير: أين هو ماكس؟

Marie: Max est chez lui. Il ya de la lumière dans son salon.

ماري: ماكس في بيته، هنالك ضوء في غرفة الضيوف.

2) Pierre: Je me demande si Max est chez lui ?

بيير: إنني أتساءل إذا كان ماكس في بيته.

Marie: Max est chez lui. Il ya de la lumière dans son salon.

ماري: ماكس في بيته، هناك ضوء في غرفة الضيوف.

3) Pierre: Inutile de vouloir appeler Max. Il est 8 heures, et il ne rentre pas

avant 9 heures.

بيير: من العبث الاتصال بماكس، إنها الساعة الثامنة، و هو لا يعود إلى بيته قبل التاسعة.

Marie : Non, il est chez lui. Il ya de la lumière dans son salon.

ماري: كلاّ، ماكس متواجد في بيته، هناك ضوء في غرفة الضيوف.

في المثال رقم1 يضيف جواب ماري خبرا جديدا حيث إن بيير لا يعرف مكان ماكس فجواب ماري يمنحه معلومة جديدة. أما في المثال رقم2 فيشير بيير إلى أنه لا يعلم إذا كانت جملة: ?Max est chez lui

تحتمل الصدق أو الكذب، ليأتي جواب ماري ليعزز قوة الافتراض بأن ماكس متواجد في بيته مما يدفع بتصديق بيير لهذا الافتراض. أما المثال رقم3 فإن جواب ماري: كلاّ إن ماكس متواجد في بيته يؤدي إلى استبعاد بيير للاعتقاد بأن ماكس غير متواجد في بيته. وعليه فإن تسليم بيير بصدق أجوبة ماري يؤدي به إلى تغيير اعتقاده و بالتالي التسليم بأن ماكس متواجد في بيته.[5] وهكذا فإنّ درجة الملاءمة التي يتضمنها الملفوظ أو النصّ تقاس بكمّ الآثار السيّاقية المنتجة والجهود المعرفية المبذولة؛ فكلما أنتج الملفوظ آثارا سيّاقية معتبرة و تطلّب جهودا معرفية قليلة كان على درجة كبيرة من الملاءمة. و تختلف الملاءمة من شخص إلى شخص آخر، فما يمكن لبيير مثلا، كما في المثال السابق، اعتباره ملائما يمكن لماري ألا تعتبره ملائما.

تكون المعلومة ملائمة لفرد ما عندما يؤدي تحليلها في سيّاق الافتراضات المتوفرة إلى إنتاج أثر معرفي إيجابي (positive cognitive effect) على غرار الاستنتاجات الصحيحة التي قد يتوصل إليها الفرد، على عكس الاستنتاجات الخاطئة و التي تنتج بدورها آثار سيّاقيا إلاّ أنها لا تتسم بالايجابية.[6]

ما يجعل الإنسان، وفقا لنظرية الملاءمة، يختار معلومة بعينها من ضمن مجموعة واسعة من المعلومات لا يتوقف فقط على أنها ملائمة، و إنّما لأنها الأكثر ملاءمة قياسا إلى غيرها من المعلومات المتاحة في الوقت نفسه؛ متى تساوت معلومتان مثلا فإن تلك التي يؤدي تحليلها إلى نتائج مهمة هي التي تكون أكثر ملاءمة. فالمعلومة التي يؤدي تحليلها إلى إنتاج كم كبير من الآثار السيّاقية الإيجابية، هي المعلومة التي تتوفر على درجة كبيرة من الملاءمة.

**2.2 جهود التحليل أو المعالجة: Processing efforts:**

لا يتوقف اختيار المعلومة من ضمن مجموعة واسعة من المعلومات فقط على الأثر المعرفي أو السيّاقي الذي تنتجه، ففي ظروف يمكن أن يكون ذات المثير الاظهاري(الملفوظ أو النصّ) بارزا بدرجة كبيرة أو بدرجة بسيطة، كما يمكن الوصول للافتراضات السيّاقية نفسها بسهولة أو بصعوبة، و يمكن الحصول على الآثار السيّاقية بكل سهولة أو العكس. فعندما تتساوى عدّة مدخلات، وفقط لنظرية الملاءمة، فإن تلك التي تتطلب جهدا كبيرا في تحليلها تكون أقل ملاءمة بالنسبة للمتلقي. و عليه فإن الملاءمة تقاس من خلال الآثار المعرفية أو السيّاقية المحققة (Cognitive effects) والجهود التحليلية المبذولة (Processing efforts):

أ. عندما تتساوى عدّة معلومات في الوقت نفسه فإن تلك التي تنتج أكبر كم ممكن من الآثار المعرفية تكون الأكثر ملاءمة بالنسبة للمتلقي.

ب. عندما تتساوى عدّة معلومات في الوقت نفسه فإن تلك التي تتطلب جهدا تحليليا كبيرا تكون الأقل ملاءمة بالنسبة للمتلقي.[7]

**2.3 الملاءمة المثلى Optimal Relevance:**

يقترح سبيربير و ويلسون مفهومين أساسيين للتواصل. أما المفهوم الأول فيتمثل في الملاءمة المثلى حيث إن كل فعل تواصلي يمكن أن يبلغ الملاءمة المثلى عندما يحقق مجموعة كافية من الآثار السيّاقية ببذل أقل جهد لمعالجة الأقوال و الرسائل و تحليلها. ليقترحا من بعد ذلك ووفقا لمفهوم الملاءمة المثلى «مبدأ الملاءمة» حيث إن: كل فعل تواصلي إظهاري استدلالي يسعى إلى أن يحقق الملاءمة المثلى، و في المحصلة إن نجاح العملية التواصلية مرهون بالتحكم في مبدأ الملاءمة.[8]

ومن هذا المنطلق فإن أطراف العملية التواصلية تتواصل فيما بينها وفقا لهذا المبدأ حيث ينبغي على المتكلم أو المرسل بعث الأقوال و الرسائل التي يعتقد أنها ملائمة للمتلقي الذي يفترض بدوره أن المرسل أو المتكلم يسعى دائما إلى تحقيق الملاءمة في كل ما يصدر عنه من أقوال و رسائل. و هكذا ينتقي المتلقي الافتراضات السيّاقية التي يبذل في معالجتها أقل جهد و وقت ممكن مع الأخذ في الحسبان أيضا كم الآثار السيّاقية التي يمكن تحقيقها ليتمكن من ثم و بنجاح تحصيل المعنى الذي يتوسم المرسل أو المتكلم إيصاله.

يفترض هذا التفسير الذي قدماه الباحثان للطريقة التي تتم من خلالها العملية التواصلية أن الفهم عملية استدلالية وليس عملية فك التشفير للعلامات

اللسانية. هذا يعني أن فهم المعنى الذي يحمله القول أو الرسالة لا يتعلق بمعرفة نحو وقواعد الجملة أو القول فقط، وإنما يجب أن يضاف إليها العناصر التداولية للسيّاق، والآثار السيّاقية، والملاءمة أو ما يطلق عليها العمليات الاستدلالية.

يكون المثير الاظهاري(النصّ أو القول) على درجة مثلى من الملاءمة بالنسبة للمتلقي فقط عندما يكون ملائما إلى الدرجة التي يستحق من خلالها أن يبذل المتلقي جهدا تحليليا من أجل فهمه. فمن أجل إقناع المتلقي بافتراض الملاءمة الذي ينطوي عليه مثير إظهاري ما، لابد من أن يتوصل إلى استنتاجات مهمة؛ فعندما يضع الضيف مثلا الصحن الفارغ أمام المستضيف فإن هذا الأخير قد يفهم أن الضيف يريد المزيد من الطعام، ولكن عندما يحمل الضيف الصحن فيفهم مباشرة أنه يريد المزيد من الطعام.

يقدم كل من مبدأ التواصل في نظرية الملاءمة و كذا الملاءمة المثلى إجراءا عمليا من أجل تكوين فرضية حول المعنى الذي تحمله رسالة المتكلم حيث يتعين على السامع أن يتحصل على المعنى بعد تفكيك العلامات اللسانية المكونة للجملة بأقل جهد ممكن على أن يعزز هذا المعنى على المستوى التصريحي و يدعمه على المستوى التضميني إلى أن تحقق عملية التأويل التوقعات بالملاءمة التي يتوخاها السامع:

**1.** لابد من أن تتحقق صفة الملاءمة في مجموعة الافتراضات التي ينطوي عليها ملفوظ ما والتي يهدف المرسل طرحها على المتلقي ملائمة بما فيه الكفاية مما يمكن هذا الأخير من تحليل المثير الاظهاري الاستدلالي.

**2.** لابد من أن يكون المثير الاظهاري الاستدلالي(النصّ أو الملفوظ) الأكثر ملاءمة بالنسبة للمرسل الذي يمكن أن يوظفه في الملفوظ الذي يود تمريره للمتلقي.[9]

فمن المتوقع أن يوظف المرسل المثير الذي يمكّن المتلقي من الوصول إلى الفرضية الأولى المقصودة من قبل المرسل، لا أن يجعله يختبر جميع الفرضيات من أجل الوصول إلى الفرضية المتوخاة.

### 2.4 السيّاق في نظرية الملاءمة:

يرتبط مفهوم السيّاق في حدود نظرية الملاءمة بالمتلقي بالدرجة الأولى الذي يخضع المعلومات الجديدة التي يتلقاها للمقارنة مع تلك المخزنة في ذهنه و ذلك بهدف استحضار الآثار السيّاقية المناسبة التي تمكنه من ربط المعاني التي توصل إليها من خلال الاستدلال بالمقاصد المتكلم أو الكاتب.

من المتعارف عليه أنّ نجاح الفعل التواصلي يتوقف على ما يتقاسمه المرسل

والمتلقي من معرفة مشتركة لجميع المعلومات السيّاقية الضرورية من أجل تأويل القول أو الرسالة. إلا أن «سبيربير وويلسون» يجدان أنه من الصعب التسليم بهذه الفكرة؛ فحتى إذا تقاسم المرسل والمتلقي المحيط المادي نفسه، فإن ذلك لا يعني بالضرورة أنهما يحملان التمثيلات نفسها حوله حيث إننا لا نبني في أذهاننا التمثيلات ذاتها وذلك بسبب الاختلافات في محيطاتنا المادية الضيّقة من جهة، وبسبب قدراتنا الإدراكية المعرفية من جهة أخرى؛ فقدراتنا الحسية تختلف من حيث الفاعلية من شخص إلى شخص آخر، وبدورها تختلف قدراتنا الاستدلالية من شخص إلى شخص آخر، وعليه يعتبر مفهوم السيّاق في نطاق نظرية الملاءمة مفهوما شاملا حيث لا يقتصر فقط على المعلومات حول المحيط المادي أو الأقوال التي تم التلفظ بها، و إنما ينطوي أيضا على التوقعات حول المستقبل و الفرضيات العلمية و المعتقدات الدينية والافتراضات حول الثقافة العامة و الأفكار حول الحالة الذهنية للمتكلم.إنّ السيّاق، وفقا لهذه النظرية، وحدة معرفية إدراكية يتم التعامل معها على أساس الاختيار حيث لا يتم تحديده من خلال الحالة المادية أو التعبير بالعلامات اللسانية، و إنما من خلال ما ينتقي السامع أو المتلقي من هذه المعلومات؛ فالسيّاق بنية نفسية، إنه مجموعات الافتراضات التي يحملها المتلقي في ذهنه حول العالم.[10]

وهكذا فإنّ المتلقي يعالج أي افتراض جديد ضمن سيّاق محدد حيث يرمي من وراء تلك المعالجة إلى فهم هذا الافتراض الجديد من خلال ربطه بمجموعة الافتراضات التي يحملها في محيطه المعرفي الإدراكي. يمكن للافتراض الجديد أن ينضم إلى مجموعة الافتراضات السابقة المشكلة للسيّاق فيعزز من قوتها و ذلك في حال كان على توافق تام معها، إلاّ أنّه من الممكن أن يتناقض الافتراض الجديد مع الافتراضات السابقة ضمن سيّاق المعالجة؛ ووفقا لدرجة قوّة الافتراض الجديد فإنّه قد يؤدي إلى إضعاف الافتراضات السابقة أو إلى دحضها تماما. أمّا إذا كان الافتراض الجديد ضعيفا قياسا إلى الافتراضات الموجودة، فإنّه لا يتم استيعابه في السيّاق المعرفي الإدراكي مما قد يؤدي إلى دحضه. وعليه عندما يؤدي أي افتراض جديد إلى التأثير في للمتلقي، يكون هذا الافتراض قد حقق آثارا سيّاقية لدى المتلقي.

إنّ السيّاق الذي تتم فيه معالجة أي افتراض جديد يشكل مجموعة جزئية فقط من مجموعة الافتراضات التي يحملها المتلقي في ذهنه حول العالم، أي أنّ المقارنة بين الافتراض الجديد و مجموعة الافتراضات السابقة لا يشمل جميع الافتراضات التي يحملها المتلقي في ذهنه حول العالم أثناء الفعل التواصلي القائم على الافتراض الجديد، و إنما يقتصر فقط على مجموعة جزئية من الافتراضات.[11] يطرح عند هذا

المستوى التساؤل حول الكيفية التي يتم من خلالها انتقاء هذه المجموعة الجزئية من الافتراضات التي تتم في حدودها معالجة الافتراض الجديد وتحليله. يقول سبيربير وويلسون إنّ استحضار هذه المجموعة الجزئية الممثلة في السيّاق لا يتحقق خلال كامل العملية التواصلية، و إنما يتم استحضاره من خلال الافتراض الجديد حيث يسهم محتوى هذا الافتراض في انتقاء السيّاق الملائم لمعالجته. يكون الافتراض الجديد ملائما بالنسبة للمتلقي عندما يحقق له كمّا من الآثار السيّاقية في حدود سيّاق معين.

### 2.4.1 اختيار السيّاق:

يتوقف اختيار السيّاق على عدّة عوامل من ضمنها تمكن المتلقي من الوصول إلى الافتراضات الضرورية لمعالجة الأقوال و تحليلها و الذي يعد شرطا أوليا لنجاح العملية التواصلية. إن الافتراضات الضرورية لمعالجة قول ما لابد أن تكون ضمن المحيط المعرفي الإدراكي للمتلقي حيث يكون المتلقي عند استقباله للقول قادرا على رسم السيّاق الذي يمكن أن يفهم من خلاله القول الجديد من خلال معالجة افتراض خاص وتحليله في محيطه الإدراكي المعرفي. يخضع المتلقي إذن أية رسالة يستقبلها ، مكتوبة كانت أم شفهية، إلى التحليل و المعالجة ضمن محيطه المعرفي الإدراكي حيث يتم رسم السيّاق المناسب من خلال انتقاء مجموعة من الافتراضات. إلا أن هذا الاختيار لا يتم بطريقة عشوائية و إنما يتوقف انتقاء السيّاق على المعرفة الموسوعية للفرد و النشاط الذهني، تسهم هذه العوامل في اختيار سيّاق محدد من ضمن مجموعة من السيّاقات المحتملة.[12]

### 2.5 التماثل التأويلي بين الصيغ القضوية:

>تتبلور الأفكار وفقا لنظرية الملاءمة في شكل تمثيلات ذهنية تتجسد في صيغ قضوية يمكن توظيفها للربط بين تلك الأفكار و حقائق حول العالم المحيط بنا. تسمى هذه الطريقة للتفكير في التمثيلات الذهنية بالاستعمال الوصفي للتمثيلات.[13] تتبلور الأفكار في أذهاننا، من جهة أخرى، من خلال الصيغ القضوية(propositional forms) التي تتميز بأنها تتضمن خصائص منطقية و التي من خلالها تتناقض الصيغ القضوية فيما بينها، و يستدعي بعضها البعض و تدخل في علاقات منطقية فيما بينها. يمكن أن تتقاسم صيغتان قضويتان بعض الخصائص المنطقية ذلك أن كافة الصيغ القضوية تتضمن خصائص منطقية. و عليه يمكن القول إن التمثيلات الذهنية التي تتقاسم فيها الصيغ القضوية الخصائص المنطقية تتشابه فيما بينها بفضل هذه الخصائص المنطقية المشتركة. يسمى هذا التشابه بين الصيغ القضوية أو التماثل التأويلي. تتشابه صيغتان قضويتان ومن ثم فكرتان أو ملفوظان تأويليا في سيّاق محدد بالقدر الذي

يتقاسمـــــــان فيه الاستلزامات التحليلية والسيّاقية في حدود ذلك السيّاق.[14] أما الاستلزامات التحليلية فتتمثل في الاستلزامات التي تم التوصل إليها من خلال عملية استنتاجيه تم الاعتماد فيها على التطبيق القواعد التحليلية فقط حيث تستند القاعدة التحليلية على افتراض واحد فقط.[15]

مثال لتوضيح التماثل التأويلي بين الصيغ القضوية:

1) اشترى عمر سيارة مرسيدس.

2) اشترى أحمـــــــــد سيارة.

3) اشترى عمـــــــــر شيئا ما.

لنفترض أن هذين المثالين يعبران عن أفكـــار محددة، وعليه يمكن أن نستنتج من المثالين ما يلي: اشترى أحدهم سيارة.

لكن يختلف المثالين على مستوى خصائص أخرى؛ فالمثال3 يمكن استنتاجه من المثال1 وليس من المثال2. وعليه يتميز التماثل التأويلي بين التمثيلات الذهنية باختلاف درجاته. يمكن لفكرتين وردتا في سيّاق محدد أن تتشابها تأويليا إذا تقاسمتا بعض متضمنات القول السيّاقية في حدود هذا السيّاق.[16]

4) زميلي يرضى بالأشياء الجميلة فقط.

أ) الشخص الذي يشتري سيـــارة مرسيدس لديه المال لينفقه على ذلك.

ب) الشخص الذي يهتم بالأشياء الثمينة لديه المال ليشتري تلك الأشياء.

5) عمر زميلي.

يمكن القـــــــول إن الجملة 4 تتشابه من حيث التأويل مع الجملة 1 في سيّاق الجملة 5.

يبدو جليا أن الجملة1 والجملة4 لا تتقاسمان متضمنـــــات القول التحليلية نفسها، لكـــــــن تؤديان وضمن سيّاق الجملة5 إلى استنتاج الآثر السيّاقي نفسه: عمـــــر يملك المال.

بناء على علاقات التشابه التأويلي بين التمثيلات الذهنية يمكن للذهن البشري أن يتصور فكرة ليس من خلال صدقها أو علاقتها بالأحداث، و إنما من خلال التشابه التأويلي بينها و بين تمثل ذهني آخر. يسمى هذا الاستعمال للتمثيلات في نظرية الملاءمة بالتماثل التأويلي.[17]

### 2.6 التماثل التأويلي في مجال الترجمة:

يسعى المترجم إلى إنتاج نص هدف يتضمن جميع الافتراضات التي كان صاحب النصّ الأصل يهدف إلى إيصالها لقارئ النصّ الأصل. تستند عملية التأويل في إطار نظرية الملاءمة على مفهومي التصريح والاستلزام حيث يتوقف نجاح الترجمة على مدى قدرة المترجم على مساعدة القارئ الهدف على التوصل بالتأويل نفسه الذي حققه القارئ الأصل بعد قراءته للنصّ الأصل. إلا أن نجاح المترجم في تحقيق ذلك مرتبط بقدرته على تزويد القارئ الهدف فقط بالمعاني التصريحية و المعاني الضمنية التي كان يقصد صاحب النصّ الأصل تمريرها للقارئ الأصل.[18]

لابد أن يحرص المترجم خلال العملية الترجمية أن يحقق النصّ الهدف الملاءمة بالنسبة للقارئ الهدف بحيث يفضي التماثل التأويلي بين النصّ المترجم والنصّ الأصل إلى تحقيق الملاءمة لدى القارئ الهدف و ذلك من خلال إنتاج آثار سيّاقية ملائمة. يطرح السؤال عند هذا المستوى حول الطريقة التي تمكن المترجم من تحقيق مبدأ الملاءمة في النصّ المترجم؛ يرى ارنيست جوت أنه على المترجم البحث عن الطريقة التي تسمح له بجعل النصّ الهدف يفضي إلى التأويل المقصود من قبل صاحب النصّ الأصل مع بذل أقل قدر من الجهود التحليلية من قبل القارئ الهدف مع التركيز على عنصر السيّاق ذلك أن مبدأ الملاءمة يقوم بالأساس على هذا العنصر.[19]

3. أمثلة تطبيقية عن التماثل التأويلي بين النصّ الأصل و النصّ الهدف:

نستعين في هذا القسم من البحث ببعض الأمثلة التطبيقية للوقوف على مدى أهمية تحقيق التماثل التأويلي بين النصّ الأصل و النصّ الهدف لنجاح الترجمة:

1) An idea not to be sniffed at.

لا يتم التوصل إلى المعنى وفقا لنظرية الملاءمة من خلال نموذج الترميز و فك الترميز، وإنما من خلال الاستدلال. ففي المثال1 لا تنقل الجملة المعنى الحرفي لكل كلمة؛ فالمعنى المقصود من كلمة sniffed ليس المعنى الحرفي (يشم أو يستنشق):

2) An idea must not be smelled.

يؤدي فك الترميز عن الكلمات المشكلة للجملة الانجليزية إلى ترجمة حرفية لا تنقل المعنى المقصود، كما أنها تجعل القارئ العربي يبذل جهدا غير ضروري في معالجتها لأن الترجمة يكتنفها الغموض.

أما في حال استطاع المترجـــــــم تأويل الجملة تأويلا صحيحا، فسيتوصل إلى المعاني الضمنية التالية:

**المثال الأوّل:**[20]

a) The idea must not be derided.

لا يمكن الاستهزاء بهذه الفكرة.

b) The idea must not be made fun of.

لا يمكن الاستهزاء بهذه الفكرة

c) The idea must be respected.

لا بد أن تحظى هذه الفكرة بالاحترام.

بعد أن يتوصل المترجم إلى هذه المعاني الضمنية من خلال عملية التأويل، فإنه يتعين عليه نقل المعنى في اللّغة الهدف على نحو يحقق فيه التماثل التأويلي مع المعنى المعبّر عنه في اللّغة الأصل:

3) لا يمكن الاستهزاء بهـــــــذه الفكرة.

4) لا بد أن تحظى هذه الفكرة بالاحترام.

تتشابه الترجمتين3 و 4 من حيث التأويل مع المعنى المعبر عنه في الجملة1، وبهذا تحقق الترجمة الملاءمة للقارئ الهدف حيث حققت له آثارا سيّاقية و لم تجعله يبذل جهود معالجة غير ضرورية.

**المثال الثاني:** مقطـــــع من رواية The Virgin and the Gipsy لـ David Herbert Lawrence

I am fined one guinea. And I with that I wash the ashes out of my hair. [21]

1. أنا محكوم بغرامة جنيه وبذلك أنفض الرماد عن شعري.(ترجمة خالد حدّاد).
2. أتغرم جنيها واحدا وبذلك أكفر عن ذنبي.(ترجمة زكي الأسطا).

نلاحظ أن ترجمة زكي الأسطا تحقق التماثل التأويلي مع المقطع الأصل على عكس ترجمة خالد حدّاد. أما تفسير ذلك فيكمن في الطريقة التي تعامل كل منهما مع عبارة: I wash the ashes out of my hair. هذه العبارة المستمدة من الكتاب المقدس. نلاحظ أنّ ترجمة خالد حدّاد لا تحقق التماثل التأويلي و لا تحقق بالتالي الملاءمة للقارئ العرب غير الملّم بالديانة المسيحية، فالترجمة موجّهة بالأساس إلى جمهور قراء ينتمي في غالبيته إلى الدّيانة الإسلامية. تجعل هذه الترجمة القارئ العربي يبذل جهدا تحليليا من أجل فهمها و قد لا يفهما، و عليه نقول إنّ هذه الترجمة لا تتماثل تأويليا مع المقطع الأصل و لا تحقق بالتالي الملاءمة للقارئ الهدف. على عكس خالد حداد، نجح زكي الأسطا في تحقيق التماثل التأويلي مع المقطع الأصل و ذلك باعتماده على تقنية الشرح

حيث شرح المعنى الذي تحمله عبارة I wash the ashes out of my hair. (التكفير عن الذنب) و بهذا جعل القارئ العربي يتوصل بالمعنى المقصود من قبل الكاتب دون بذل جهد تحليلي كبير. تتماثل ترجمة زكي الأسطا من حيث التأويل مع المقطع الأصل فتحقق بالتالي الملاءمة للقارئ العربي.

**المثال الثالث( من تأليفنا):**

The British tourists prefer travelling to the continent to spend their summer holiday.

الترجمة الحرفية: يفضل السيّاح البريطانيين السفر إلى القارة من أجل قضاء عطلتهم الصيفية.

تطرح كلمة continent إشكال بالنسبة للمترجم لأنّ ترجمتها بما يقابلها حرفيا(القارة)، يجعل الترجمة غامضة بالنسبة للقارئ العربي فأي قارة مقصودة في الجملة الأصل. هذا ما يدفع بالقارئ الهدف إلى بذل جهد كبير في معالجة الجملة المترجمة من أجل التوصل إلى المعنى المقصود.

يتعين على المترجم في هذه الحال تأويل الجملة الأصل تأويلا صحيحا بحيث يتوصل إلى أن الانجليزي يستعمل كلمة continent للإحالة على أوروبا. و عليه نتوصل إلى الترجمة التالية:

يفضل السياح البريطانيون السفر إلى أوروبا لقضاء عطلتهم الصيفية. وهي الترجمة التي تتماثل تأويليا مع الجملة الأصل. تحقق هذه الترجمة الملاءمة للقارئ الهدف(العربي) لأنها تتشابه من حيث التأويل مع الجملة الأصل، كما أنها تجعله يحقق أثرا سيّاقيا جديدا(تحيل كلمة continent في الثقافة الانجليزية على قارة أوروبا) دون بذل جهد معالجة غير ضروري.

تبرز أهمية التماثل التأويلي أيضا في ترجمة النصّوص التي تحمل معاني متصلة بالثقافة؛ ففي مثل هذه النصّوص لا يمكنّ فك ترميز العلامات اللّسانية المترجم من تحصيل المعنى المقصود، و إنما عليه الاعتماد على الاستدلال الذي يرتبط بدوره بعنصر السيّاق حتى يتمكن من بلوغ المعنى المقصود.

**المثال الرابع:** يضرب المثل في الجمال في اللّغة العربية بالقمر؛ نورد فيما يلي المثال الشائع للتعبير عن الجمال في الثقافة العربية: جميلة مثل القمر فنقول مثلا:

لقد رأيت ليلى وكانت مثل القمر؛ فالقمـــــر كان بمثابة المصدر الوحيد للنور والضوء

بالنسبة العرب القدمـــــــــاء الذين كانوا يسكنون الصحراء، و هكذا جعلوا منه رمزا للرومنسية والحب والجمال.

يؤدي الاعتماد على فك الترميز عن الجملة العربية إلى الترجمة التالية:

1) I saw Layla, she was as a moon.

تبدو هذه الترجمة غامضة بالنسبة للقارئ الهدف(الانجليزي) غير الملمّ بالثقافة العربية لأن كلمة moon لا تعبّر عن الجمال في الثقافة الانجليزية، كما أن الجملة لا تتضمن كلمة سيّاقية أخرى (مثلا توظيف صفة جميلة:beautiful) والتي يمكن أن تحيل القارئ الانجليزي على أنّ كلمة moon ترمز إلى الجمال في اللّغة العربية:

I saw Layla, and she was as beautiful as the moon.

فحتى وإن وضحت هذه الترجمة المعنى إلى حدّ ما، فإنها تجعل القارئ الانجليزي يبذل جهد معالجة كبير في إضافتها إلى محيطه المعرفي ذلك أن كلمة moon لا ترمز إلى الجمال في ثقافته الانجليزية كما ذكرنا آنفا مما يجعل هذه الترجمة لا تحقق مبدأ الملاءمة الذي تقوم عليه نظرية الملاءمة.

وعليه يتعين على المترجم أولا تأويل الجملة تأويلا صحيحا ثم يبحث عن التأويل الذي يماثله في الثقافة الهدف. فالتأويل يمكّنه من إيجاد المكافئ لكلمة القمر ضمن سيّاق التعبير عن الجمال في الثقافة الانجليزية؛ فيتوصل إلى الترجمة التالية مثلا:

2) I saw Layla and she was as beautiful as a flower.

تتشابه هذه الترجمة من حيث التأويل مع الجملـــــــة الأصل، كما أنها تحقق الملاءمة للقارئ الهدف بحيث لا تجعله يبذل جهد معالجة غير ضروري، على عكس الترجمة الحرفية في الجملة1 التي لا تحقق للقارئ الانجليزي مبدأ الملاءمة.

**المثال الخامس:**[22]

A hugely popular in his company, owlish man in his 60s, Mr John is going to lead the discussions with the rival companies to defend the interests of his company.

بعد القراءة الأولى لهذه الجملة يبدو لنا أنّها سهلة للترجمة ذلك أنها لا تتضمن كلمات صعبة فمن الممكن أن نعتمد فقط على فك الترميز بمعنى البحث عن مقابل كل كلمة في اللّغة العربية فنتوصل إلى الترجمة التالية:

يحظى السيد جون بشهرة واسعة في الشركة التي يعمل بها؛ و هو شخص في الستين من عمره يشبه البومة و هو الذي سيمثل شركته في إدارة المحادثات مع الشركات المنافسة.

تغفل هذه الترجمة معنى مهم تضمنته الجملة الانجليزية من خلال توظيف صفة owlish المشتقة من كلمة owl(طائر البوم) التي ترمز للحكمة في الثقافة الانجليزية، على عكس الثقافة العربية حيث يضرب بهذا الطائر المثل في الشؤم و قبح الصورة والصوت. تبين هذه الترجمة أن النتائج التي تفضي إليها العملية التأويلية تشكل الأساس الذي ينطلق منه المترجم خلال العملية الترجمية، و أن التشابه أو التماثل بين النصّ الأصل و النصّ يجب أن يتحقق على المستوى التأويلي. لنفترض أن المترجم نجح في تأويل كلمة owlish و ذلك بوضعها في سيّاقها الثقافي، فإن ذلك سيجعله يتوصل إلى ترجمة ناجحة تحقق الملاءمة للقارئ الهدف لأن ترجمتها ب «شكله يشبه البومة» لا تحقق مبدأ الملاءمة بالنسبة للقارئ الهدف، على عكس ترجمتها ب «رجل حكيم» التي تحقق بالفعل الملاءمة للقارئ الهدف و تجعله لا يبذل جهود معالجة غير ضرورية، وعليه نقترح الترجمة التالية:

يحظى السيد جون، وهو رجل في الستينيات من العمر، بمكانة مرموقة داخل الشركة التي يعمل بها. فهو يتحلى بالحكمة و رجاحة العقل ممّا جعله يحظى بتمثيل شركته في إدارة المحادثات مع الشركات المنافسة.

**خلاصـــــة:**

تقترح نظرية الملاءمة جملة من المفاهيم التي يمكن توظيفها في دراسة الأفعال التواصلية والبحث في مآلاتها؛ يمكن أن ذكر في هذا المقام: مفهوم الملاءمة، والملاءمة المثلى، والسيّاق، والآثار السيّاقية، وجهود المعالجة و التحليل، ومفهوم التماثل التأويلي. تشكل هذه المفاهيم أساسا متينا يمكن أن يستند عليه المترجم خلال العملية الترجمية. لقد حاولنا في هذه الدّراسة الإحاطة بجميع هذه المفاهيم مع التركيز على مفهوم التماثل التأويلي في مجال الترجمة ذلك أن الترجمة عملية تأويلية بامتياز؛ فهي تتجاوز أنموذج الترميز و فك الترميز إلى الاعتماد على الاستدلال و التأويل. و عليه توصلنا في هذه الدّراسة و من خلال الترجمات المرفقة إلى أن الترجمة عملية تأويلية لذلك يتعين على المترجم التركيز خلال العملية الترجمية على التوصل إلى التأويل الصحيح للنصّ المترجم، و من ثم العمل على إيجاد التأويل المشابه أو المماثل له في اللّغة و الثقافة الهدف. عندما ينجح المترجم في تحقيق التماثل التأويلي بين النصّ الأصل و النصّ المترجم، فإنه يجعل القارئ الهدف يحقق آثارا سيّاقية بمعنى أنّه يتوصل إلى مقاصد الكاتب الأصل دون بذل جهود كبيرة في معالجة النصّ الهدف و تحليله. و هكذا يمكننا القول إنّ النصّ الهدف

قد حقق الملاءمة للقارئ الهدف تماما مثلما حقق النصّ الأصل الملاءمة للقارئ الأصل.

**الهوامـــــش:**

(1) Voir: Sperber & Wilson, Relevance communication and cognition, second edition, Blackwell, Oxford, 1995, p. 8.
(2) Voir: Sperber & Wilson, Op. Cit, p. 9.
(3) Voir: Jacques Moeschler et Antoine Auchlin, Introduction à la linguistique contemporaine, Armand Colin, 3ème édition, 2009, p. 181.
(4) Voir: Jacques Moeschler et Antoine Auchlin, Op.Cit, p. 181.
(5) Voir: Jacques Moeschler et Antoine Auchlin, Op.Cit, p. 181.
(6) Voir: Sperber & Wilson, Op.Cit, p. 3.
(7) Voir: Op.Cit, p. 46.
(8) Voir: George Elia Sarfati, précis de la pragmatique, Armand Colin, 2005, p68.
(9) Voir: Sperber & Wilson, Op.Cit, p. 267.
(10) Voir: Op.Cit, p.15.
(11) Voir: Op.Cit, p.133-132.
(12) Voir: Op.Cit, p.137.
(13) Voir: Op.Cit, p.138.
(14) Idem.
(15) Voir: Sperber & Wilson, Op.Cit, p.104.
(16) Voir: Ernust Gutt, Translation and Relevance: Cognition and Context, Basil Blackwell, Oxford, 1992, p. 59.
(17) Voir: Ernust Gutt, Op.Cit, p. 60.
(18) Voir: Ernust Gutt, Op.Cit, p.152.
(19) Voir: Ernust Gutt, Op.Cit, p.162.
(20) Voir: https:// idioms.thefredictionary.com.
(21) Lawrence. D.H. The Virgin and The Gipsy. New York: Vintage international, 2005, p. 29.
(22) Voir: how did owls come to be associated with wisdom and knowledge? www.quora.com.